

الصين في أفريقيا نفوذ اقتصادي غير مشروط... وفخ ديون يهدد مقدرات القارة السمراء

China in Africa is an unconditional economic influence... and a debt trap that threatens the destiny of the brown continent

إيمان الشعراوي

كلية الدراسات الإفريقية العليا-جامعة القاهرة (مصر)، eeman2772@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/07/30

تاريخ القبول: 2021/07/25

تاريخ الاستلام: 2021/06/15

ملخص:

أصبحت الصين خلال العقد الماضي من أكبر القوة الفاعلة في القارة الأفريقية، ومنافسة قوية للولايات المتحدة الأمريكية وللقوة الإستعمارية التقليدية، حيث عززت علاقاتها الاقتصادية مع الدول الأفريقية مستغلةً مواردها الطبيعية المختلفة وعلى رأسها النفط، وموقع القارة الجغرافي المتميز وما يمثله من أهمية في مشروع الحزام والطريق واستراتيجية الصين في تطوير العالم اقتصاديًا، وقد اتبعت الصين في سياستها لذلك 3 مبادئ وهم المساواة والصداقة والندية بالشكل الذي تلافت من خلاله سلبيات التعامل الغربي مع أفريقيا المشروط بمبادئ يعتبرها الأفارقة تدخل واعتداء على سيادتهم، إلا أنه على الرغم من ذلك هناك تحديات تواجه الدور الصيني وعلى رأسها فخ الديون الذي وقعت فيه العديد من الدول الأفريقية بالشكل الذي جعل الصين أكبر الدائنين لقارة يعاني سكانها من الفقر وعدم قدرة على سداد هذه الديون، مما أثار التخوفات من أن يكون الوجود الصيني إستعمار جديد يسعى للاستيلاء على مقدرات وأصول أفريقيا.

كلمات مفتاحية: الصين- أفريقيا- الولايات المتحدة الأمريكية- النفط الأفريقي -مبادرة الحزام والطريق- القاعدة العسكرية الصينية بجمبوتي- الاستعمار الجديد- الديون الصينية لأفريقيا -متدى التعاون بين الصين وإفريقيا

Abstract :

Over the past decade, China has become one of the largest active power in the African continent, and a strong competitor to the United States of America and the traditional colonial power, as it has strengthened its economic relations with African countries, taking advantage of its various natural resources, especially oil, and the continent's distinguished geographical location and the importance it represents in the Belt and Road project and strategy China has surrounded the world economically, and in its policy, China has followed 3 principles: equality, friendship, and equality in a way that has avoided the negative aspects of Western dealings with Africa, conditioned by principles that Africans consider an interference and an assault on their sovereignty. However, despite that, there are challenges facing the Chinese role, chief among them. The debt trap in which many African countries fell in a way that made China the largest creditor to a continent whose population suffers from poverty and the inability to repay these debts, which raised fears that the Chinese presence is a neo-colonialism that seeks to seize the capabilities and assets of Africa.

Keywords: China - Africa - USA - African oil - Belt and Road Initiative - Chinese military

المؤلف المرسل: إيمان الشعراوي ، الإيميل: eeman2772@gmail.com

مقدمة:

على مدار السنوات الماضية أصبحت الصين من أكبر القوى الدولية الفاعلة في القارة الأفريقية، فمن بداية دورها السياسي المحدود في دعم حركات التحرر في الدول الأفريقية في الستينيات والسبعينيات إلى توغلها الاقتصادي وسعيها الاستفادة من موارد القارة الأفريقية الطبيعية، وتأمين إمدادات الطاقة طويلة الأجل اللازمة للحفاظ على التصنيع، والبحث عن الوصول الآمن إلى إمدادات النفط والمواد الخام الأخرى في جميع أنحاء العالم واستغلال سوق أفريقيا الكبير وموقعها الجغرافي المتميز الذي يتيح للصين منافسة القوى الدولية الكبرى وتهديد مصالحها الاستراتيجية في القارة الأفريقية.

وقد تزامن طموحات الصين التوسعية مع بداية القارة السمراء في أخذ بُعد إستراتيجي بالغة الأهمية على المستوى الدولي، بعدما عانت من التهميش لفترة زمنية طويلة ومعاناتها من الحقبة الاستعمارية، وبدأت القوى الدولية والإقليمية تتكالب عليها للاستفادة من مواردها واستغلال موقعها الإستراتيجي المتميز، وعلى رأسهم دولة الصين الذي على الرغم من قوتها الاقتصادية وسعيها لقيادة النمو الاقتصادي العالمي إلا أنها تستخدم قوتها الناعمة للتوغل في قلب القارة الأفريقية وتقديم نفسها كدولة نامية تسعى لتعزيز التعاون الاقتصادي مع القارة الأفريقية بدون شروط سياسية أو معونات مشروطة وهو ما جعلها حليف اقتصادي وشريك تجاري مهم لعدد كبير من الدول الأفريقية، خاصة في ظل النمو الاقتصادي السريع في الصين وتوسع الطبقة الوسطى إلى تغذية حاجة غير مسبوقة إلى الموارد.

تتمثل إشكالية المقالة في دراسة النفوذ الاقتصادي الصيني في أفريقيا ودوافعه ومدى تأثير الديون الأفريقية للصين على إستقرارها في ظل التخوفات من سيطرة الصين على أصول القارة السمراء.

وفي هذا المقال نستعرض النفوذ الصيني في القارة الأفريقية من خلال عدد من المحاور.

أولاً: دوافع التوجه الصيني للقارة الأفريقية

ثانياً: النفوذ الاقتصادي للصين في أفريقيا

ثالثاً: توظيف القوة الناعمة كسلاح لكسب القارة السمراء

رابعاً: الديون الأفريقية للصين... هل أصبحت فخ للاستيلاء على مقدرات القارة السمراء

خامساً: الحرب الباردة بين الصين وأمريكا على أفريقيا

أولاً: دوافع التوجه الصيني للقارة الأفريقية

أخذ التنافس الصيني على القارة الأفريقية بعداً استراتيجياً مهماً، لكونها قارة تحتل موقعا استراتيجيا وتضم مضايق مهمة ورئيسة في طرق الملاحة الدولية، وأنها ثاني أكبر القارات وتتوفر على ثروات مهمة، لذلك فإن التوجه الصيني لأفريقيا كان لعدد من الدوافع..

1- الاستفادة من الموقع الجغرافي المتميز: أفريقيا ثاني أكبر قارات العالم، حيث يعد موقع القارة الأفريقية على صعيد العالم الأهم من الناحية الجيوبوليتيكية لأنها تتوسط الممرات الملاحية بين القارات الخمس وتعتبر همزة وصل بين قارات العالم، لذلك فإن لأفريقيا دور محوري في الأمن الأفريقي والحراك السياسي والاقتصادي والثقافي للدول المحورية في هذه القارات، وعلى رأسهم دولة الصين.¹

2- القارة الأكثر جذباً للاستثمار في العالم: تعتبر أفريقيا هي المنطقة الأكثر ربحية في العالم، حيث يشير تقرير صادر عن مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية إلى أنه بين عامي 2006 و 2011 ، كان لأفريقيا أعلى معدل عائد على تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر: 11.4%. هذا بالمقارنة مع 9.1% في آسيا ، و 8.9% في أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي، وهو ما يجعل آفاق النمو الاقتصادي في إفريقيا من بين أفضل آفاق النمو في العالم، كما أنه 6 من أصل 12 دولة الأسرع نمواً في العالم موجودة في إفريقيا (إثيوبيا ، جمهورية الكونغو الديمقراطية ، ساحل العاج ، موزمبيق ، تنزانيا ، ورواندا). علاوة على ذلك ، بين عامي 2018 و 2023 ، ستكون آفاق النمو في إفريقيا من بين أعلى المعدلات في العالم، وفقاً لصندوق النقد الدولي.²

3- سوق كبيرة وقارة شبابية: تعتبر القارة الإفريقية ثاني أكبر قارات العالم من حيث عدد السكان، كما أنها قارة شابة حيث أن معظم سكانها من الشباب وذلك وسط شيخوخة السكان في معظم المناطق الأخرى وهو ما يشكل سوقاً هائلة، خاصة أنه من المتوقع أن يتضاعف عدد سكان القارة بمقدار أربع مرات من 1.19 مليار في عام 2015 إلى 4.39 مليار بحلول عام 2100.³

4- ثراء القارة السمراء بالموارد الطبيعية: تعرف أفريقيا بأنها "سلة غذاء العالم" كما تعد الثروات الطبيعية التي تتمتع بها هي الأكبر على مستوى قارات العالم، فاقصادياً تمتلك أفريقيا ثروات هائلة تجسدها الثروة الزراعية، فثلثا سكان القارة يعملون بالزراعة تقريباً، وتساهم بحوالي 20 إلى 60 بالمائة من إجمالي الناتج القومي لكل دولة إفريقية، كما أن التنوع البيئي والمناخي يجعل القارة من أكبر المناطق المؤهلة للإنتاج الزراعي،

كما أن إفريقيا تتميز بثروة غابية هائلة إذ تساهم صناعة الاخشاب بـ 6 بالمائة من إجمالي الناتج الداخلي للقارة الإفريقية، أما في المجال البحري فالدول الإفريقية تتوفر على مخزون هائل من الثروة السمكية حيث تقوم بإنتاج 4.5 مليون طن من الأسماك في منطقة غرب إفريقيا.⁴

ومن جانب آخر يوجد في إفريقيا كميات كبيرة من المعادن و تمتلك إفريقيا وحدها ما يناهز 124 مليار برميل من احتياطي النفط أي بنسبة 12 بالمائة من نسبة الاحتياط العالمي، وتتوفر أيضا على مخزون هام من اليورانيوم الموجه للصناعة النووية بجنوب إفريقيا و النيجر و ناميبيا، و تملك إفريقيا وحدها نسبة 18 بالمائة من إجمالي الإنتاج العالمي لهذه المادة و مخزون احتياطي يبلغ ثلث إجمالي احتياطيات العالم، كما أن إفريقيا تعتبر من أكبر المنتجين للألماس العالمي بما يناهز 40 بالمائة من إجمالي ألماس العالم و يتركز في كل من دول أنجولا و بتسوانا والكونغو الديمقراطية و جنوب أفريقيا و ناميبيا.⁵

5- تأمين إحتياجات الاقتصاد الصيني من الطاقة: إذا كانت أولويات الصين في علاقاتها بأفريقيا تتركز على ضمان واردتها من الطاقة والمواد الخام من أفريقيا، وفتح الأسواق الأفريقية أمام البضائع الصينية وتعزيز المكانة العالمية للصين، فإن هذا النوع من الأولويات لا يعتبر شأنًا تجاريًا محضًا إنما هو في الوقت نفسه شأن إستراتيجي، إذ يعد الاقتصاد الصيني من أسرع الاقتصادات العالمية نموًا، حيث يبلغ معدله السنوي 8% وقد فرض هذا المعدل المرتفع ضغوط متزايدة للحصول على النفط وبتزايد الطلب الصيني على النفط أصبحت الصين ثاني أكبر مستورد للنفط بعد الولايات المتحدة الأمريكية، في عام 2004 لذلك تسعى الصين للبحث عن دول جديدة تمدها بما تحتاجه من البترول، لذلك تستغل الصين كل الفرص الممكنة لاستغلال الثروات النفطية في أفريقيا حيث تمتلك أفريقيا نحو 8% من احتياطي النفط في العالم و 11% من الإنتاج العالمي للنفط.⁶

ثانيًا: النفوذ الاقتصادي للصين في أفريقيا

على الرغم من تعدد مجالات التعاون بين الصين وأفريقيا، إلا أن الصين ركزت بشكل رئيسي على التعاون الاقتصادي مع القارة السمراء، وقد عملت الصين على تعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري مع القارة الإفريقية، حيث تواصل الصين والدول الإفريقية - في إطار منتدى التعاون الصيني الإفريقي - تعميق هذا النوع الجديد من الشراكة، وأصبحت الصين أكبر شريك تجاري لإفريقيا، فهي الشريك التجاري الأول

لإفريقيا منذ عام 2009م، وتعتبر إفريقيا المصدر الرئيس للصادرات من الموارد الطبيعية للصين، ويزداد حجم التجارة الإجمالي بين الصين وإفريقيا سنوياً، حيث بلغ حجم التجارة بين الصين وإفريقيا 10,8 مليار دولار لعام 2001م، وازداد إلى 198,49 مليار دولار أمريكي في عام 2012م، ووصل إلى 222 مليار دولار في عام 2014م.⁷، وبحسب السفير الصيني بالقاهرة لياو ليتشيانج فأن حجم التبادل التجاري بين الصين والدول الإفريقية، بلغ 208 مليارات دولار في اخر إحصائية له، موضحاً أن الصين أصبحت أكبر شريك تجارى لإفريقيا حيث بلغت مساهمتها في نمو الاقتصادى الإفريقي نسبة 20%.⁸

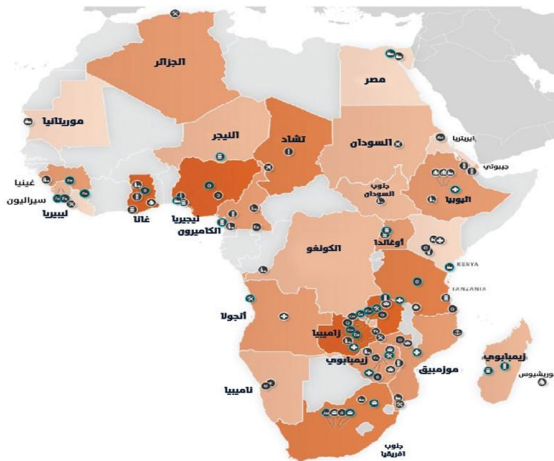
أما صادرات الصين إلى أفريقيا فأثارت من 3.2% عام 2004 إلى 1.3% عام 2007، كما زادت واردتها من أفريقيا خلال نفس الفترة من 8.2% إلى 8.3%.⁹ وتصدّر إفريقيا، وخاصة إفريقيا جنوب الصحراء، المنتجات الخام والمواد الأولية والتي تمثل 34% من الصادرات، والمعادن التي تمثل 27% من الصادرات، وكذلك الوقود الخام وذلك حسب بيانات World Integrated Trade Solution (WITS) لعام 2016م وتستورد إفريقيا جنوب الصحراء من الصين السلع الرأسمالية والآلات والمعدات والسلع الاستهلاكية.¹⁰

كما تعتبر المساعدات والمعونات الصينية للأفارقة سواء كانت في صورة إنشاءات وبنية أساسية أو مساعدات طبية أو تنمية موارد بشرية، هي جزء من إستراتيجية تهدف إلى إقامة علاقات طويلة الأمد بناء على الاحترام المتبادل والتفاهم المشترك لقد كثفت الصين بصورة كبيرة من المعونة التي تقدمها في شكل مساعدات تقنية مع التركيز على التدريب في المؤسسات الصينية والمنح والقروض المعفاة من الفوائد والقروض التفضيلية التي تتضمن دعماً للفائدة والإعفاء من الديون، ومثالاً على المساعدات الصينية لأفريقيا، ففي 2005 كان صندوق النقد الدولي على مشارف إبرام اتفاق مع أنجولا من أجل إعطائها قرض لكن في اللحظات الأخيرة أوقفت أنجولا الاتفاق وقالت أنها بدلاً من ذلك ستأخذ قرض من الصين للتنمية في البنية التحتية وذلك بعد أن عرضت عليها الصين قرضاً بقيمة 5 مليار دولار دون أي شرط من الشروط التي يفرضها البنك الدولي.¹¹

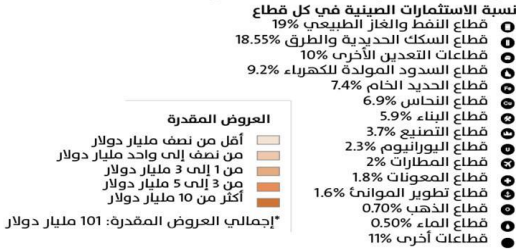
وعن الاستثمارات الصينية فأثارت في جميع قطاعات السوق، وتتركز بشكل رئيسي في المواد الخام الأولية، بسبب حاجة الصين المتزايدة إلى إمدادات مستمرة من المواد الخام، على سبيل المثال تمثل استثمارات التعدين ما يقرب من ثلث إجمالي الاستثمارات الأجنبية المباشرة للصين، حيث تعد الصين من أكبر مستوردي النفط الإفريقي؛ خاصةً من أنجولا وجنوب السودان، كما يتم تصدير أكثر من 60% من خشب الجابون إلى

الصين بشكلٍ أساسي، وخام الزنك والنحاس من إريتريا، والكوبالت من جمهورية الكونغو الديمقراطية، والتبغ الخام من زيمبابوي، إلى جانب الحديد والتيتانيوم من سيراليون.¹²

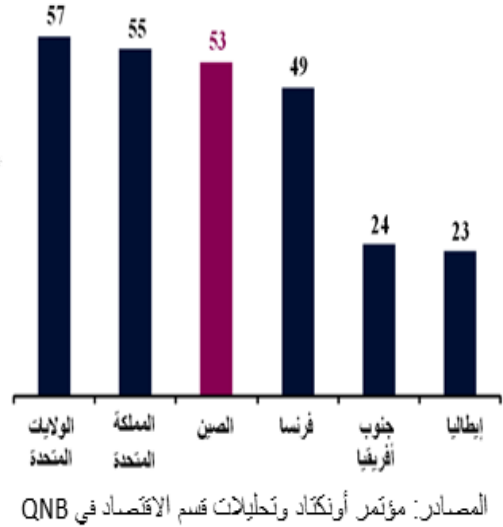
وبالنسبة لاستثمارات الصين في البنية التحتية، تقدم الصين القوى العاملة والخبرات اللازمة، والقروض، والظروف المالية المواتية لمشاريع بناء البنية التحتية، لا سيما في مجالات رئيسية مثل المرافق والاتصالات السلكية واللاسلكية، وبناء الموانئ والنقل؛ حيث يوجد هناك ما يقرب من 1600 شركة صينية تم تأسيسها وتشغيلها في إفريقيا، وهو ما يمثل 12.9٪ من إجمالي عدد الشركات الصينية في الخارج، على سبيل المثال، الشركة الصينية للإنشاءات والهندسة (CSCEC) تتولى عقود الأشغال العامة في الجزائر، وشركة الطرق والجسور الصينية (CRBC) ومقرها الإقليمي في نيروبي، وتتنافس الشركات الصينية في مجال البناء والأشغال العامة (BPW) مع التكتلات الفرنسية مثل Bouygues و Dumez في مشاريع البنية التحتية في إفريقيا.¹³



عروض الاستثمارات الصينية في أفريقيا منذ 2010



الاستثمار الأجنبي المباشر في أفريقيا حسب المصدر (مليار دولار أمريكي في 2016)



ملحوظة: البيانات الواردة في الخريطة أعلاه مبنية على تقديرات صفقات الاستثمارات والقروض والمساعدات الصينية مع أفريقيا المصدر: تشاينا بيزنس ريفيو. مصدر مفتوح للمعلومات التجارية

ولكي تعمق الصين علاقتها الاقتصادية بأفريقيا أنشأت الصين منتدى التعاون الصيني الإفريقي كحجر الأساس لتوطيد العلاقات مع الدول الإفريقية، حيث يغطي عدة مجالات، مثل: التصنيع والتحديث الزراعي والبنية التحتية والخدمات المالية والتنمية الخضراء، وتيسير التجارة والاستثمار، وعلى مدار دورات انعقاده، استطاعت الصين بناء علاقات قوية مع القادة الأفارقة، والتي سمحت بزيادة حجم التبادل التجاري والاستثمار، وفي عام 2018م، وبحضور 50 رئيسًا إفريقيًا، أكدت الصين على تقديم قيمة 60 مليار دولار في شكل منح وقروض بهدف دعم فرص التنمية في القارة.

ويأتي مشروع الحزام والطريق في ضوء استراتيجية الصين في تطوير العالم اقتصاديًا، من خلال مشروع الحزام والطريق الذي يمتد إلى 3 قارات، ويستهدف 60% من سكان العالم؛ عملت الصين على إشراك إفريقيا بهدف توسيع المجال الاقتصادي لصالح الصين، وتعتبر شرق إفريقيا محورًا مركزيًا في هذا المشروع، وهو ما دفع نحو التهيئة والاستثمار في البنية التحتية بالمنطقة، على سبيل المثال: إنشاء خط سكة حديد قياسي يربط مومباسا بنروبي، وخط السكة الحديد الكهربائي من أديس أبابا إلى جيبوتي، كما أنشأت الصين قاعدة بحرية في جيبوتي لتأمين المشروع واستثماراتها في المنطقة.¹⁴

هذه القاعدة العسكرية التي أنشأتها الصين في أغسطس 2017 في جيبوتي تهدف منها الصين إلى وسيلة لدعم المصالح الصينية في أفريقيا وقيادة الدبلوماسية البحرية لا سيما في ظل الإدراك الصيني لأهمية جيبوتي في مبادرة الحزام والطريق كما تعمل القاعدة الصينية على تأمين وارداتها النفطية حيث تعتمد الصين بشكل متزايد على نفط الشرق الأوسط لذلك فهي تحتاج للوصول إلى خليج عدن والخليج العربي، فضلاً عن وجود دوافع جيواقتصادية للصين حيث تعتبر جيبوتي فرصة ذهبية للاستثمار الصيني في الخارج وللمصالح الاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حيث تمر نسبة كبيرة من تجارة الصين مع الاتحاد الأوروبي عبر خليج عدن والتي تقدر قيمتها بأكثر من مليار دولار في اليوم، في حين تمر نسبة 40% من واردات الصين عبر المحيط الهندي.¹⁵

ومن شأن وجود قاعدة صينية في جيبوتي أن يتيح زيادة التجارة عبر خليج عدن والبحر الأحمر، فضلاً عن الدوافع الجيوستراتيجية للقاعدة حيث وصفت أنها من قاعدة دعم لوجستي ونقطة قوة إستراتيجية وذلك لدورها في دعم قدرات العسكرية للصين بشأن فرض القوة بعيدة المدى عبر إقامة قواعد بحرية خارجية لضمان مصالحها واستكمال إنشاء طريق الحرير البحري إلى جانب تحقيق أهداف أمنية تتمثل في تحدي الهيمنة البحرية الأمريكية وإلغاء النفوذ الأمريكي.¹⁶

ثالثاً: توظيف القوة الناعمة كسلاح لكسب القارة السمراء

لم يكن محاولة الصين التقرب للدول الأفريقية ثقافياً وإيجاد قواسم مشتركة بينهم أمراً سهلاً وذلك لأنه في إطار عملية العولمة، تحاول الثقافات الأفريقية أن تحافظ على تراثها، وهويتها ومع قوة الولايات المتحدة الأمريكية كان سيجعل من دخول الصين لأفريقيا صعب وذلك لرفض الثقافات الأفريقية التعامل مع الصين كقوى تتبع النظام الاشتراكي، بالإضافة إلى صعوبة اللغة الصينية، وعدم علم الأفارقة بها، لذا كان يجب على الصين وضع إستراتيجية تعتمد على القوى الناعمة لتنفاذ إلى قلب القارة الأفريقية.¹⁷

فاستغلت الصين تزايد النقد لسياسات القوى الغربية في أفريقيا، والقائمة على النهب، والاستغلال، وركزت على أدائها الثقافية في الدخول الناعم، واختراق أفريقيا، وجاء الترحيب الأفريقي بالتعاون مع الصين نتيجة البحث عن شريك اقتصادي، وسياسي يحترم لهم خصوصياتهم الثقافية، والاجتماعية، بعد أن عانو من الضربات الموجعة التي تلقوها من الاستعمار الغربي، وقد قامت العلاقات بين الصين وأفريقيا على قاعدة المعاناة المتشابهة، وأيام الشدة في الماضي، وتهدف استراتيجية الصين في إفريقيا إلى خلق بيئة تعددية، لذا اعتمدت على خطاب جنوب - جنوب، وهو ما لاقى صدى إيجابياً من قبل الدول الأفريقية وتؤدي الصين دور الناطق باسم الدول النامية التي تدعو إلى خلق بيئة دولية تعددية، وإعادة النظر في الاقتصاد الدولي الذي تراه غير عادل، وينهب حقوق الفقراء،. لذا نجحت الصين في إبراز عوامل مشتركة بين الصين والدول الأفريقية بالتركيز على الثقافة، ومحاولة إبراز التشابه بينها وبين الثقافات الأفريقية من حيث المعاناة، والتاريخ الاستعماري المشترك، وكونها دولة نامية تتكبد ما تتكبدته الدول النامية في أفريقيا، ثم تقديم وإبراز النموذج الصيني القائم على مبادئ أخلاقية فلسفية، للتقرب للشعوب الأفريقية.¹⁸

ثم إبراز احترامها للهوية الثقافية الأفريقية القائمة على التعدد والتنوع، فتعاملت مع جميع الدول الأفريقية الكبيرة، والصغيرة، بعكس القوى الغربية، التي كانت تفضل التعامل من خلال الدولة القائدة في كل منطقة جغرافية، كما احترمت عادات وتقاليد الدول الأفريقية، وأقامت المعارض الأفريقية في الصين للتعريف بالثقافات الأفريقية، كما افتتحت العديد من معاهد تعليم اللغة الصينية مثل معهد كونفوشيوس، ورفعت من مستوى التبادل العلمي، والبعثات التعليمية بينهما، وركزت على الدبلوماسية الثقافية، والتأكيد على احترام الهوية الثقافية للدول، وقدمت الدعم لهم في المؤتمرات الدولية. وأصبحت الدول الأفريقية تنظر للنظام

السياسي و الاقتصادي الصيني كمثل يحتذى به؛ لتحقيق الرخاء، والتنمية، بحيث يستفاد منه في خلق نظام أفريقي يتواءم مع خصائصها، وذلك لما تمثله الصين من اقتصاد قوى، وتشابهه في بعض الخصائص التاريخية للقارة الأفريقية، والصين الشعبية.¹⁹

رابعاً: الديون الأفريقية للصين... هل أصبحت فخ للاستيلاء على مقدرات القارة السمراء

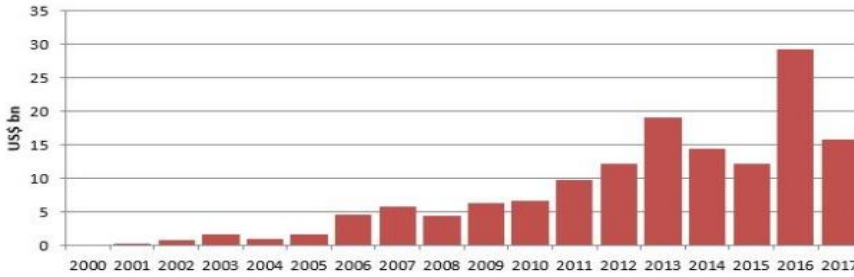
يُنظر إلى بكين باعتبارها أكبر دائن منفرد لأفريقيا، لقد حسبت حملة - Jubilee Debt وهي عبارة عن تحالف من المنظمات في المملكة المتحدة مكرسة لتخفيف ديون البلدان النامية - أنه اعتباراً من عام 2018، حوالي 20 في المائة من جميع ديون الحكومة الأفريقية مستحقة للصين، نظراً لضخامة هذه الديون، يطالب البعض بأن تقوم الصين بإعفاء الديون عن أفريقيا، حتى أن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون دعا الصين إلى تخفيف ديون الدول الأفريقية، وفي ظل هذه المطالب قامت الصين بالإعفاء من القروض بدون فائدة للبلدان الفقيرة والأقل نمواً في إفريقيا ففي عام 2005، أعلنت الصين إعفائها من 10 مليارات دولار قروض بدون فوائد لأفريقيا. وبحلول الربع الأول من عام 2009، ألغت الصين 150 قرضاً من هذا القبيل مستحقة على 32 دولة أفريقية. في عام 2018، أعلن الرئيس الصيني شي جين بينغ الإعفاء من جميع القروض الحكومية الدولية بدون فائدة للدول الأفريقية الأقل نمواً التي لها علاقات دبلوماسية مع الصين.²⁰

ومع ذلك، فإن القروض بدون فائدة لا تشكل سوى جزء صغير من ديون إفريقيا المستحقة للصين. من عام 2000 إلى عام 2017، قدمت الصين 143 مليار دولار في شكل قروض إلى الحكومات الأفريقية والشركات المملوكة للدولة - معظمها عبارة عن قروض ميسرة وخطوط ائتمان وتمويل للتنمية. من بين 60 مليار دولار تعهدت الصين بتقديمها لأفريقيا في منتدى التعاون الصيني الأفريقي لعام 2015 (FOCAC)، تشكل القروض الميسرة وخطوط الائتمان وقروض الشركات الأفريقية الصغيرة والمتوسطة الحجم مجتمعة 70 في المائة من الإجمالي - مع 9 في المائة فقط من التمويل المعلن في قروض بدون فوائد. في منتدى فوكاك لعام 2018، حيث تعهدت الصين مرة أخرى بتقديم 60 مليار دولار لإفريقيا، كان نصف الأموال عبارة عن خطوط ائتمان وتمويل التنمية، حيث شكلت المنح والقروض بدون فوائد أقل من 25 في المائة من الإجمالي، لذلك فإن هذه القروض التي قامت الصين بإعفاء الدول الأفريقية منها لا فائدة منها، ويجب أن يكون الإعفاء عن القروض الميسرة والقروض الأخرى بسبب حجمها.²¹

ويقدر إجمالي ديون القارة الأفريقية بحوالي 365 مليار دولار، ثلثها يعود إلى الصين وحسب جامعة جونز هوبكنز، فقد أقرضت الصين الدول الأفريقية 143 مليار دولار بين عامي 2000 و 2017 لبناء طرق وجسور وملاعب ومستشفيات في إطار ما تعرف بـ"مبادرة طريق الحرير الجديد، وكشف مركز التنمية العالمية أن "أسعار الفائدة التي تفرضها البنوك الصينية أعلى مرتين من أسعار الفائدة التي يفرضها البنك الدولي".²²

Chinese loans extended to African governments and state-owned enterprises

Angola is the top recipient of Chinese loans with \$43.1 bln disbursed over 17 years



Source: CARI / Johns Hopkins School of Advanced International Studies

لكن رواية "فخ الديون" أصبحت أكثر وضوحاً في عام 2017 عندما انتشرت تقارير تفيد بأن الصين استولت على ميناء "هامبانتوتا" السريلانكي عندما تأخرت الدولة الواقعة في جنوب آسيا في خدمة ديونها، وكانت الحكومة السريلانكية حصلت على قرضين من الصين، 307 ملايين دولار أميركي للمرحلة الأولى من مشروع الميناء، و757 مليون دولار أميركي أخرى، وكلاهما من بنك "إكسيم" الصيني، لبناء ميناء "هامبانتوتا"، وعندما واجهت أزمة نقدية، إذ قررت سريلانكا تأجير الميناء ذي الأداء الضعيف لمشغلين أكثر خبرة، واختارت "تشاينا ميرشانتس" لتأجيرها الميناء، ما جعل الشركة الصينية المساهمة الكبرى في عقد إيجار مدته 99 عاماً ساعد كولومبو في جمع 1.2 مليار دولار أميركي، لكن طوال فترة إدارة الرئيس الأميركي الأسبق دونالد ترمب، أصبح الميناء السريلانكي هو الحالة الأكثر مقاربة عند الحديث عن "فخ الديون" الصينية واستخدم مثلاً على أن بكين استولت على الميناء البحري الاستراتيجي كضمان.²³

وعلى الرغم من رفض الصين، الاتهامات بخلق "فخ ديون" لدول القارة السمراء والتصريح على لسان المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية تشاو لي جيان ، أنه فيما يتعلق باتهامات بعض الدول ووسائل

الإعلام الغربية ضد الصين، فإنها بلا أساس، حيث إن ثلاثة أرباع إجمالي ديون الدول الأفريقية الخارجية هي ديون مستحقة لمؤسسات مالية متعددة الأطراف ودائنين تجاريين، كما أن وصمة "فخ الديون" في أفريقيا لن يتم إلصاقها بالصين أبداً، منوها بأنه "عندما تتعاطى بعض الدول لمشكلة ديون أفريقيا، فإنها تضع الكثير من الشروط السياسية، وتحدد معايير واشتراطات يصعب على كثير من الدول الأفريقية تحقيقها، كما أن هذه الدول استخدمت مشكلة الديون لتحويل والتدخل في أفريقيا، وهو ما قوبل بانتقادات لاذعة من الدول الأفريقية".²⁴

إلا أنه هناك مخاوف من مصادرة الأصول إلى أفريقيا، حيث أنه في الوقت الذي تتيح فيه الصين التمويل بشكل أكثر سهولة نسبياً بشروط معينة و«مستندات» أقل من المصادر التقليدية، عادة ما تستفيد الشركات الصينية من «المساعدات المشروطة» للبنية التحتية، في حين أن قروضها في كثير من الحالات مرهونة بالموارد الطبيعية، ومن خلال هذه الطريقة تحقق الصين أهدافها والتي تتمثل في تحقيق كل من الاختراق الاقتصادي والنفوذ الاستراتيجي، لذلك فإن صناع السياسات في إفريقيا ينبغي أن يعتمدوا نهجاً أكثر حذراً تجاه التعامل مع الصين مع الإدراك للمخاطر الاستغلالية المرتبطة بهذه القروض الصينية، ولكن من المهم أيضاً أن يكون هناك استراتيجية لكيفية استغلال المصالح الصينية لصالح إفريقيا. وهنا يلزم وجود مستوى من الدبلوماسية التكتيكية والدبلوماسية الاقتصادية، حيث إنه من خلال تحديد شروط الانخراط، يمكن للبلدان استخدام انخراط الصين في إفريقيا لتنمية اقتصاداتها، ويمكنهم أيضاً أن يهتموا اهتماماً متجدداً من القوى الأجنبية عن طريق استخدام علاقاتهم مع الصين، وإذا تم ذلك بشكل صحيح، فإنها يمكن أن تتجنب مصير سريلانكا وتخرج الدول الإفريقية فائزة بدلاً من أن تخرج خاسرة من جراء الدور الصيني في إفريقيا.²⁵



خامساً: الحرب الباردة الجديدة بين الصين وأمريكا على أفريقيا

يمثل نَهْجُ الصين اتجاه أفريقيا تحدياً رئيساً لـ”المصالح الأمريكية”، التي دائماً ما يتم تلخيصها في “تعزيز الديمقراطية والحكم الرشيد، والتنمية المستدامة في أفريقيا”، وذلك لأنّ التمويل الصيني يتدفق إلى أفريقيا دون “قيود”، الأمر الذي جعل بكين بديلاً سهلاً عن “المساعدة الإنمائية المشروطة” من الغرب والمؤسسات المالية متعدّدة الأطراف، مما يقلّل من جهد الغرب للتحكم في الدول الأفريقية ومؤسساتها، على أساس مزاعم تشجيع التنمية المستدامة والنظم الديمقراطية طويلة الأجل، ويؤثر التدخل الصيني في أفريقيا بشكل كبير على المصالح الاستراتيجية الأمريكية.²⁶

ويمتد هذا التأثير إلى العديد من القضايا الاستراتيجية الملحة لذلك فإن استشعار واشنطن الخطر الصيني المتصاعد، كان لا بد له أن يولد سياسات أمريكية معادية، تمثلت في محاولة غلق الممرات البرية والبحرية للتزود بالطاقة (البتروال والغاز الطبيعي) في وجه الصين، مع دعم استقلال التايوان عن الصين، ومحاولة إبرام اتفاقيات عسكرية معها، والوقوف بجانب اليابان في الجزر المتنازع عليها مع بكين، وبالإضافة إلى القوة العسكرية للصين في أفريقيا، بما في ذلك قوات حفظ السلام التي يبلغ قوامها 2500 جندي، فإنّ المساعدات الاقتصادية التي تقدمها الصين للدول الأفريقية، والوعود بالتنمية لتبيل دعم دول مثل جيبوتي، وضمتها إلى دائرة نفوذها تصيب الأمريكيين بالخوف خاصة بعد إنشاء القاعدة العسكرية الصينية بجيبوتي.²⁷

كما زاد حجم التجارة بين الصين وأفريقيا بشكل كبير، حيث أن التجارة بين أفريقيا والولايات المتحدة في 2002 بلغت ضعف تجارة القارة مع الصين، 21 مليار دولار و12 مليار دولار، على التوالي ووصل حجم تجارة القارة مع الولايات المتحدة عام 2008 إلى 100 مليار دولار ولكن في 2019، انخفض حجم التجارة مع الولايات المتحدة إلى 56 مليار دولار.. بينما ارتفع حجم التجارة مع الصين من 102 مليار دولار إلى 192 مليار دولار في نفس الفترة بين 2008 و2019، و في يومنا هذا، لا توجد دولة أخرى تقترب من حجم استثمارات الصين في القارة.. تجاهلت إدارة ترامب القارة، وعززت الصين نفوذها، ولم يزر ترامب القارة ليكون أول رئيس أمريكي منذ 27 سنة يتجاهل زيارتها.²⁸

واستطاعت الصين، كأكبر شريك اقتصادي لأفريقيا، التحول سريعاً واستغلال أزمة كورونا لتقديم المساعدة والاهتمام والخبرات. نتائج هذا كانت فورية. بعض القادة الأفارقة الذين انتقدوا معاملة السلطات الصينية

للأفارقة على أراضيها في بداية الجائحة غيروا من لهجتهم الحادة. على سبيل المثال، صرح الرئيس النيجيري محمد بھارى أنه "راض عن تقدم العلاقات النيجيرية الصينية"، إلى جانب هذا، تمتلك الصين مناصب قيادية قوية داخل المؤسسات الدولية التي تلعب أدواراً مهمة في أفريقيا. فمن بين 15 وكالة تابعة للأمم المتحدة، ترأس الصين أربعة منهن، ولا تمتلك أى دولة أخرى القدرة على منافسة الصين في ذلك. تقوم الصين أيضاً بإنشاء منظمات دولية تنافس الأمم المتحدة التي يهيمن عليها الغرب، بما في ذلك البنك الآسيوى للاستثمار في البنية التحتية وبنك التنمية الصينى. اعتباراً من عام 2018، قام بنك التنمية الصينى بتمويل 500 مشروع في 43 دولة أفريقية مختلفة بقيمة 50 مليار دولار²⁹.

تقوم بيكين أيضاً بزيادة نفوذها بطرق أخرى باستخدام القروض فعلى سبيل المثال، ألغت الصين ديناً على الكاميرون قدره 78 مليون دولار - وكان الدين مخصصاً لتطوير البنية التحتية - في مقابل دعم الكاميرون لترشح الصين كرئيس لمنظمة الأغذية والزراعة، والكاميرون تعد من الدول القوية في وسط أفريقيا بما تملكها من اقتصاد متنوع وقطاع خاص قوى، وبالنسبة للولايات المتحدة، تأثير الصين المتزايد له تداعيات عالمية. تواجه الشركات الأجنبية منافسة صعبة مع الشركات الصينية المدعومة من الدولة على إبرام العقود في أفريقيا. تعهدت إدارة بايدن بالمشاركة بشكل أكبر مع أفريقيا، مما يشير على الأرجح إلى استراتيجية أمريكية طويلة الأجل لمواجهة الصين في أفريقيا لكن استراتيجية الصين في توزيع اللقاح وتبرعاتها بمعدات الوقاية الشخصية إلى الدول الأفريقية قد أثبتت حسن نيتها وزين سمعتها كقوة عالمية مسؤولة تعمل على حماية السكان المعرضين للخطر في أفريقيا وهو ما تجاهلته الولايات المتحدة وأوروبا إلى حد كبير خلال الوباء قد تكون الولايات المتحدة مستعدة لإعادة التزاماتها تجاه القارة، ولكن بحلول الوقت الذي تبدأ فيه من جديد، قد يكون الأوان فات للتغلب على الصين.³⁰

لذلك يمكن القول أن الصين تفوقت على الولايات المتحدة في هذا التنافس، وذلك لأن رقعة ومساحة الانتشار في أفريقيا، أكثر من 35 دولة إفريقية تتواجد فيها الصين وشركاتها ورعاياها من أهمها: أنجولا وجمهورية الكونغو الديمقراطية، وفي نيجيريا وفي غينيا بيساو، وفي الكاميرون وتوجو، والجزائر وفي موريتانيا، والقرن الإفريقي، كما أن الاستثمارات الصينية في أفريقيا تجاوزت 60 مليار دولاراً، بينما الاستثمارات الأمريكية تشكل 15 إلى 20% من هذا المبلغ، معظمها في الجزائر وفي خليج غينيا³¹.

ومع احتدام التنافس والصراع تشير الحقائق والأحداث التاريخية، إلى حتمية التصادم بين القوة الصينية والقوة الأمريكية، حيث أن القوة الصينية النامية تواجه القوة الأمريكية الموجودة أصلاً، حيث أن

الحروب تقوم على مبدأ الصراع بين عقيدتين مختلفتين، وعلى استراتيجية المصالح المختلفة، والمتقاربة لكل من الدولتين المتواجهتين فالولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على أيديولوجيتها السياسية المهيمنة على العالم، بإرغام الدول الأخرى على تبني نظامها السياسي الرأسمالي، بالرغم من أن هذه السياسة ذات منهجية الهيمنة وسيطرة القطب الواحد، قد أوجدت الكثير من الخصوم والأعداء للولايات المتحدة الأمريكية، والقلق والخوف لدول العالم، وهو ما استغلته الصين في علاقاتها مع الدول الأفريقية.³²

خاتمة

تنظر الصين إلى أفريقيا على أنها خزان استراتيجي للموارد الأولية في العالم، وهو ما يعطيها القدرة على تلبية حاجاتها المتزايدة من هذه المواد وبالتالي الحفاظ على النمو الاقتصادي للبلاد والصعود الجيوسياسي على المستوى الإقليمي والدولي، هذه النظرة ساهمت بشكل كبير في زيادة التعاون المشترك بالشكل الذي جعل الصين من أكبر الشركاء التجاريين لأفريقيا خلال السنوات الماضية، فضلاً عن نجاحها إلى حد كبير في تغيير قواعد "العبة التنمية والنفوذ" في إفريقيا بعد عقود من هيمنة القوى التقليدية الغربية، إلا أنه على الرغم من ذلك هناك عدد من التحديات تواجه التواجد الصيني في إفريقيا نرصدها فيما يلي:

✓ اعتماد العلاقة بين الصين وأفريقيا على المنفعة المتبادلة وذلك من حصول الصين على النفط والموارد الأفريقية، وفي المقابل تساعد الصين أفريقيا في التنمية بدون شروط، إلا أنه على أرض الواقع واجهت هذه العلاقة العديد من الأزمات أبرزها التنافس الدولي الكبير من أمريكا ومن القوى الاستعمارية القديمة، وعلى رأسها فرنسا للدور الصيني في أفريقيا وعلى الناحية الأخرى تسبب الدعم غير المشروط من الصين لأفريقيا في توجيه النقد للصين على المستوى العالمي وذلك بسبب دعمها لحكومات ديكتاتورية متورطة في جرائم حرب داخل دولها.

✓ اختطاف الرعايا والمواطنين الصينيين أو مهاجمة المصالح والمواقع والمنشآت الصينية في بعض بؤر النزاعات والتوتر في القارة الأفريقية مما جعلها تعزز من وجودها العسكري وهو ما يتنافى مع إستراتيجيتها الاقتصادية في أفريقيا.³³

✓ زيادة الديون الصينية بالشكل الذي جعل الدول الأفريقية تتخوف من الوجود الصيني في أفريقيا وتصفه بالاستعمار الجديد الذي يسعى لشراء مقدرات الدول في حالة عدم القدرة على سداد هذه الديون.

✓ التواجد الصيني في منطقة القرن الأفريقي خاصة إثيوبيا ودعمها إقتصاديًا بشكل كبير يهدد العلاقات الصينية مع السودان ومصر خاصة في ظل تعقد أزمة سد النهضة وعدم الإستجابة الاثيوبية لعمل اتفاق قانوني ملزم بشأن سد النهضة.

قائمة الموامش:

¹ نادين الكحيل، "نحو القارة السمراء"، سيف نصرت توفيق(تحرير)، التوجهات الدولية تجاه القارة الأفريقية (برلين: المركز الديمقراطي العربي، ط1، 2020)، ص.6.

² Ayodele Odusola, "Investing in Africa is sound business and a sustainable corporate strategy

at

<https://www.un.org/africarenewal/web-features/investing-africa-sound-business-and-sustainable-corporate-strategy>

³ Idem.

⁴ القارة الإفريقية .. مستقبل العالم، الهيئة العامة للاستعلامات (القاهرة: رئاسة الجمهورية المصرية، 2018).

⁵ المرجع السابق.

⁶ أسماء إدريسي، "الابعد الإستراتيجية للتعاون الإقتصادي بين الصين وأفريقيا في إطار منتدى التعاون الصيني الأفريقي"، مجلة الإصلاحات الاقتصادية والإندماج في الاقتصاد العالمي (الجزائر: المدرسة العليا للتجارة، المجلد.3، العدد6، 2009)ص.20.

⁷ هناء السيد حسن عبداللطيف غنيم، " تطوّر العلاقات الاقتصادية بين الصين وإفريقيا"، قراءات أفريقية، 21 مارس

2018، على رابط: <https://qiraatafrican.com/home/new/%D8%AA%D8%B>

⁸ رباب فتحي، " السفير الصيني: بكن أكبر شريك تجارى لأفريقيا و208 مليارات دولار حجم التبادل "اليوم السابع، بتاريخ 25 أكتوبر 2020، على رابط:

<https://www.youm7.com/story/2020/10/25/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%81%D9%8A%D8%B1->

⁹ شريفة فاضل محمد بالط، الهوية الثقافية وتأثيرها على العلاقات الصينية الأفريقية (القاهرة: مجلة كلية السياسة والاقتصاد، (2021)، ص.199.

¹⁰ هناء السيد حسن عبداللطيف غنيم، مرجع سبق ذكره.

¹¹ أسماء إدريسي، مرجع سبق ذكره، ص.ص 19-20.

¹² زينب مصطفى رويحه، "مخاطر متزايدة: سياسة القروض الصينية تجاه إفريقيا" قراءات أفريقية، بتاريخ 11 مايو 2021 متاح على رابط :

<https://qiraatafrican.com/home/new/%D9%85%D8%AE%D8%A7%D8%B7%D8%B1>

¹³ المرجع السابق.

¹⁴ المرجع السابق.

¹⁵ محمود زكريا، "القواعد العسكرية في جيبوتي: الواقع والأسباب (دراسة)، مركز فاروس للاستشارات وللدراسات الإستراتيجية ، بتاريخ 28 أكتوبر 2020، متاح على رابط : <https://pharostudies.com/?p=5636>

¹⁶ المرجع السابق.

¹⁷ شريفة فاضل محمد بالط، " الهوية الثقافية وتأثيرها على العلاقات الصينية الأفريقية " ، مجلة كلية السياسة والاقتصاد(القاهرة: جامعة بني سويف، المجلد.11، العدد.10، 2021)، ص.188.

¹⁸ المرجع السابق، ص.189.

¹⁹ المرجع السابق، ص.200.

²⁰ Yun Sun,' **China and Africa's debt: Yes to relief, no to blanket forgiveness**', brookings, 20 April2020, at

<https://www.brookings.edu/blog/africa-in-focus/2020/04/20/china-and-africas-debt-yes-to-relief-no-to-blanket-forgiveness/>

²¹ **Idem.**

²² الصين وديون الدول الأفريقية.. هل تخفضها بكين أم تجرّها للمزيد؟، "مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ 22 أغسطس

2020، متاح على رابط : <https://de.proxyarab.com/index.php?q=oaytpddxkWHZqa-S>

²³ كفاية أولير، " هل اعتمدت بكين دبلوماسية "فخ الديون" للاستيلاء على أصول الدول الفقيرة؟"، انديبندنت عربية، بتاريخ 28 فبراير 2021، متاح على رابط:

[https://www.independentarabia.com/node/197771/%D8%A7%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%84](https://www.independentarabia.com/node/197771/%D8%A7%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%84)

²⁴ الصين ترفض اتهامات بشأن ديون الدول الأفريقية وتعلن إلغاء قروض 15 دولة، اليوم السابع، بتاريخ 12 أكتوبر 2020، متاح على رابط:

<https://www.youm7.com/story/2020/10/12/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%84>

²⁵ **Ronak Gopaldas, Lessons from Sri Lanka on China's 'debt-trap diplomacy'**, «institute for security studies , at 21 Feb 2018, at

<https://issafrika.org/iss-today/lessons-from-sri-lanka-on-chinas-debt-trap-diplomacy>

²⁶ أحمد بو خريص، " التنافس الصيني الأمريكي على القارة الأفريقية" (إسطنبول: المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2020)، ص.ص 21-22

²⁷ المرجع السابق.

²⁸ **Dinko Hanaan Dinko, China's 'mask diplomacy' wins influence across Africa, during and after the pandemic ,**

Theconversation, at 11 May 2020, at

<https://theconversation.com/chinas-mask-diplomacy-wins-influence-across-africa-during-and-after-the-pandemic-153048>

²⁹ Idem.

³⁰ Idem.

³¹ أحمد بو خريص، مرجع سبق ذكره، ص 24.

³² المرجع السابق، ص.ص 21-22.